عريان نصيف (٢)

خرجت من السجن الحربى بعد أن حكم على بالاعدام ذلك بعد اتصال الرفاق بعلى صبرى مدير مكتب الرئيس، الرئيس ألغى الحكم. أما أنا فكنت فى حيرة كئيبة هى انعكاس لحالة التحالف مع حليف يكرهك. ادهشنى بعد خروجى أن الرفيق المسئول فى لحظة مقابلته لى وبدلا من أن يهنئنى على صمودى فى وجه التعذيب الوحشى وعدم اعترافى على الرفاق، أنه سألنى سؤالا غير لائق. هل صرخت يا رفيق وهم يعذبونك ؟ فقلت ببساطة نعم. فصرخ وهو يبرم شاربه بكبرياء غلط يا رفيق فالمناضل لا يصرخ مهما عذبوه».

عريان نصيف– من رسالة خطية كتبها بناء على طلبى»

«كانت التهمة التى واجهنى بها المحقق العسكرى أننى كنت أنوى تفجير معسكر التدريب فى سبورتنج بهدف احداث فوضى يستغلها الشيوعيون ويركبون الموجة (لم يذكروا اسم عاطف نصار ومحاولته للانقلاب لأن القضية لم تكن قد أعلن عنها بعد) نفى عريان التهمة. ضربوه. عذبوه تعذيبا وحشيا. سألوه هل أنت شيوعى؟ فأجاب افتخر بأننى شيوعى. من معك؟ لا أحد. أنت متهم بمحاولة تفجير المعسكر. لم يحدث. ما دليلى؟ دليل أنى شيوعى. فزاد التعذيب». نزعوا كل ملابسه وتركوه عريانا فى زنزانة مملوءة بالماء. وأخيرا واجهوه بمجلس عسكرى أنهى سؤاله فى دقائق وأصدر الحكم «الإعدام رميا بالرصاص» فى تهمة الخيانة العظمى. أشعل هذا الحكم المجنون حماس قيادة الحزب، كثفوا اتصالاتهم. احتجوا. هددوا وأخيرا ابلغهم مدير مكتب الرئيس عبد الناصر على صبرى أن الرئيس وبصفته حاكما عسكريا ألغى الحكم. وخرج عريان من هذه المحنة وهو أكثر اصرارا وأكثر حماسا. ترك الكلية وتفرغ محترفا. وانغمس حتى هامته فى العمل الحزبى، وفى هذه الفترة الشديدة الارتباك يتحد الشيوعيون فى حزب واحد. ثم ينقسمون

وفى أول يناير ١٩٥٩. ويهرب عريان. والهروب سهل للغاية، أن تختبئ فى مكان ما، ثم تنتظر. لكن عريان هرب وواصل نضالا ملتهبا فقبض عليه، وأرسل إلى سجن أبو زعبل حيث معسكر التعذيب الناصرى الذى اقترب من معسكرات النازى. هو كان قد تدرب على احتمال التعذيب، ودهش الجميع، رفاقه والمتوحشون الذين يمارسون التعذيب من احتمال هذا الشخص النحيل كعصا رفيعة والذى لا يزيد وزنه على ٤٧ كيلو للتعذيب صامدا وأحيانا ايضا مبتسما. ويقول عريان فى حوار معى «فيما بعد وفى جلسة سمر فى سجن الواحات لقننى صلاح حافظ درسا هو واحد من أسرار الحياة، فالإنسان حين يتدرب على المقاومة نفسيا، فإن جسده- أيا كان ضعفه الجسمانى- يحترم هذه المقاومة ويفرز له كميات إضافية من الادرنالين تمكنه من المزيد من المقاومة والاحتمال. وبالفعل ادركت أن تصميمى على الاحتمال جعلنى احتمل تعذيبا لا يحتمل. ثم تقرر احالتهم إلى المحاكمة العسكرية أمام الفريق هلال عبد الله هلال قائد سلاح المدفعية لكن ضباط البوليس السياسى وبدهاء شديد وضعوه عمدا هو وسعد الساعى وخليل الآسى ضمن قضية الفريق الآخر. كانت مجموعة الحزب الشيوعى- حدتو لم تزل تتحدث عن تأييدها لمنجزات عبدا لناصر وأن طالبت بالديمقراطية بينما الفريق الآخر كان يعارض عبد الناصر بشدة. وتوقع رجال البوليس السياسى أن يتحدث عريان ورفيقيه أمام القاضى النمرس عن تأييدهم لعبد الناصر فيضعوا رفاق المجموعة الأخرى تحت مقصلة الفريق الشرس اتفقوا معا على إفساد مخطط الأمن فقد تغلب الضمير والعقل وقرروا ألا يتحدثوا عن تأييدهم لعبد الناصر ولا عن خلافاتهم مع الرفاق الآخرين، غضب رجال الأمن لإفساد مخططهم. ولعل الفريق كان شريكا فى إعداد هذا الكمين وانعكس هذا الغضب فى حكم شديد القسوة وهو عشر سنوات اشغال شاقة. ويكون الافراج الجماعى وبعدها يكون القرار الصاعق بحل الحزب هو عارض الحل. وقاوم كثيرا ثم رضخ لقرار الأغلبية، وتتوالى فترات السجن رغم ذلك وتتوالى معها كوارث عائلية.

ففى فترة السجن ٥٩-١٩٦٤ فقد شقيقته الشابة وفيما كان مسجونا بعد انتفاضة ١٩٧٧ فقد والدته وفى فترة سجن أخرى فى ١٩٨١ فقد والده. وفيما كان مسجونا عام ١٩٨٩ أتاه نبأ أن ابنه الاكبر محب فقد ساقه فى حادث بشع.

أى طاقة احتمال احتاجها عريان ليحتمل ذلك . ذات يوم وجدته حزينا قلت له حتى

الجبال تتهاوى أحيانا لكنك تحتمل أكثر من الجبال. نظر إلى صامتا ومضى صامدا. ثم تكون كارثة اكبر عندما يفقد ابنه محب. ويمضى عريان متكئا على عصاه صامدا شامخا مصمما على المضى أماما فى ذات الطريق. يقول لى فى رسالته «كان قرار الحل ضربة قاصمة لى لكنه مضى ليخترع آليات وأدوات للنضال وللالتحام بالجماهير، وغاص فى عمل جماهيرى متنوع الاتجاهات. «جبهة القوى الوطنية بالغربية» و«نادى الثلاثاء الأدبى» و«رابطة الحقوقيين بالغربية»، و«نادى الكتاب، نادى المسرح».. اعتاد دوما على الإبداع النضالى ثم فاجأنا بالإبداع الأدبى فكتب مسرحيات وحصل على شهادة فى التأليف المسرحى المتميز، وكتب قصصا وحصل على الجائزة الأول فى مسابقة القصة القصيرة. وإذ يأتى التجمع يكون أول الآتين إلينا. ويمنح عبر نضاله التجمعى العمل الفلاحى جهدا كبيرا ويتأسس اتحاد الفلاحين فى ٣٠ ابريل ١٩٨٣ ليحقق عريان واحدة من أهم إنجازاته.

وتمضى الأيام. ويبقى عريان كعصا ممشوقة القوام رافعة الرأس صامدة كسنديانة تهزأ بالريح يمضى كعصا تتكئ على عصا مثلها.. ضاربا لنا جميعا المثل والقدوة.

عزيزى عريان .. دمت لنا